الحوثي و الفاعلون السنه في اليمن .. بين صراع الإيديولوجيا وتشابك المصالح

محمود الشناوي

مدير تحرير وكالة أنباء الشرق الأوسط

الخبير في الشئون الإقليمية

المقدمه

كرست حالة الصراع المستمر في كل من اليمن والصومال حضور أربعة فاعلين محليين رئيسيين، يجري من خلالهم إدارة الصراع بفعل وتدخلات من قوى إقليمية ودولية، ويأتي تنظيم أنصار الله المعروف باسم "الحوثيين" كفاعل يمني مؤثر يشاركه التجمع اليمني للإصلاح وهو الواجهة السياسية لتنظيم الاخوان المسلمين، بالإضافة إلى تنظيمي القاعدة في جزيرة العرب وحركة الشباب المجاهدين الصوماليه.

وينتمي الفاعل الأول للطائفة الشيعية (الزيديه)، فيما ينتمي الفاعل الثاني وهو الاخوان للطائفة السنية، وينتمي الفاعلان الآخران وهما القاعده وحركة الشباب للفرع المتطرف من الطائفة السنية(السلفية الحهادية) ، الأمر الذي من المفترض أن يخلق حالة من الصراع الايديولوجي الحاد أكثر من حالة التحالف، إلا أن وجود نوع متطور من تشابك المصالح التكتيكي في مناطق الفراغ الأمني فرض حالة من التعاون البراجماتي برعاية إيرانية، وفرت الأجواء المناسبة لاستمرار حالة التقارب رغم التقاطع الايديولوجي، وهي حالة ليست الأولى التي تدعمها إيران، حيث سبق وفرضت الوقائع على الأرض تحالفات تكتيكية بين طهران الشيعية الصفوية وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين الذي تطور إلى (دولة العراق الاسلامية) المؤسس لأكثر تنظيمات السلفية الجهاديه تطرفا.

1 - تناقض الإيديولوجيا

أ - الحوثيين

ينتمي الحوثي إلى الزيديه وهي إحدى طوائف الشيعه المختلفه كثيرا عن الاثنى عشرية وولاية الفقيه التي تدين بها إيران، إلا أن شعارات الموت لامريكا كرست شرعية التقارب مع حكومة الملالي، وفرضت المصالح المشتركة المدعومة بالعداء الإيراني للسعودية حالة التحالف الاستراتيجي بين الحوثي وطهران، وتتفق نظرة الحوثيين مع إيران فيما يخص اعتبار الاخوان "نواصب" والقاعده والشباب "وهابيين تكفيريين" .

ب - التجمع الوطني للاصلاح

ينتمي للسنه ويعتبر أحد فروع التنظيم الدولي للإخوان، ويرفع شعارات معلنه تنادي بدولة مدنية بمرجعية شرعية، ويعتبرون الحوثيين "رافصه" مدعومين من إيران، فيما يصنفون القاعده والشباب على أنهم "خوارج".

ج - القاعده في جزيرة العرب

تنظيم سلفي جهادي يقول بتكفير الحاكم ومن يتعاون معه، ويقول بتكفير الحوثيين باعتبارهم "روافض" والإخوان باعتبارهم "مرتدين" يشاركون في الانظمه التي تدار ب" الديمقراطيه"

د - الشباب الصوماليه

التنظيم هو فرع للقاعده في الصومال، قبل أن تفرض التحولات هشاشة ملحوظة في

الارتباط التنظيمي بين الشباب والقاعدة خلال الفارة من 2020 / 2025 ، إلا انه يتبنى نفس الأفكار والمنهج التكفيري، ويقف موقف العداء من إيران الشيعية الصفوية

٢ - توابع التناقض المرصوده

أ - تشير الوقائع على الأرض إلى أن التحالف "غير الطبيعي" الذي نشأ بين الحوثي وجماعة الإخوان إبّان أحداث عام 2011 ، كان الحجر الأساس في انهيار مؤسسات الدولة اليمنية وتحويل البلاد من واحة للاستقرار النسبي إلى ساحة للفوضى والنزوح، وعقب انقلاب الحوثيين في أيلول /سبتمبر 2014 دخل اليمن نفقاً مظلماً من العنف الشامل، وتقاسم الطرفان (الحوثي والإخوان) تركة الدولة المنهوبة، حيث أوقف الحوثيون رواتب أكثر من مليون موظف، ونهبوا مقدرات الدولة لصالح مشاريع طائفية، ممّا تسبب في أكبر أزمة إنسانية وموجات نزوح مليونيّة.

وعلى الرغم من ذلك شارك الإصلاح مع جيش الشرعية الحرب في مأرب والجوف ضد الحوثيين عام ويصف الحوثيين في خطابهم- الإصلاح- بأنهم عملاء السعودية وأمريكا، فيما يصف الإصلاح في خطابه الحوثيين بأنهم أداة إيران لتفكيك اليمن. الا ان تشكيل مجلس الرئاسه اليمني في ٧ أبريل / نيسان ٢٠٢٢ بعد رئاسة عبد ربه منصور هادي انتج التقاء واضحا جدا لمصالح جماعة الإخوان وجماعة الحوثي في استعداء واستهداف مجلس القيادة، حيث تخوف الحوثيون من وجود سلطة قوية قادرة على مواجهتهم وخوض الحرب ضدهم، لا سيما وأن هذا المجلس تألف من القوى العسكرية الفاعلة على الأرض .

وقد بدا جليا حالة التخادم والتعاون الحوثي - الإخواني منذ معارك تطهير شبوة، ثم معركة سهام الشرق لتطهير أبين من الجماعات الإرهابية المدعومة من الإخوان، حيث ارتكب الحوثيون خروقات للهدنة في شبوة والضالع ومكيراس بهدف التخفيف عن الإخوان .

ب - أعلنت القاعده صراحة أن قتال الحوثيين الرافضه أولويه بعد طردهم من صنعاء عام ٢٠١٥، وجرت بين الطرفين معارك داميه في البيضاء ولودر.

ج - ظهر تكفير تنظيم الاخوان (الاصلاح) في رسائل زعيم تنظيم القاعده الراحل ايمن الظواهري عام ٢٠١٣ بسبب مشاركتهم في الانتخابات، فيما استهدف تنظيم القاعده قيادات الإصلاح باعتبارهم "مرتدين " .

د - صنف تنظيم الشباب الحوثيين على أنهم "صفويين" ، ووضع إيران في خانة (عدو)، إلا أنه لم يتطرق إلى الاخوان بفرعهم في اليمن (الاصلاح) باعتبار أنهم لا علاقة لهم بالصومال.

٣ - تشابك المصالح وتحالفات الضروره

رغم النفي الرسمي المعلن من كافة الأطراف بشأن وجود أي نوع من التعاون الوثيق بينها، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، إلا أن تقارير أمميه وثقت عدة حالات مما يمكن أن نطلق عليه (تحالف تكتيكي مرحلي)، فرضته الوقائع على الأرض أو ما يمكن اعتباره

"تحالف ضروره"، رغم العداء الاستراتيجي والتناقض الايديولوجي.
أ - وثقت تقارير فريق خبراء اليمن المرقمه (اس ١٣٠ / ٢٠٢٣ و اس ٦٥٠ / ٢٠٢٥) ان الحوثيين يستخدمون شبكات تهريب عبر عمان وبحر العرب، وهي نفس الشبكات التي استخدمها تنظيم القاعده لنقل السلاح سابقا

ب – بين عامي ٢٠٢٣ و ٢٠٢٥ قاتلا الحوثيون التحالف العربي بشكل مباشر و بينما يعلن الطرفان العداء لامريكا ظلا يتقاتلان في مأرب، بينما استفادت القاعده من الأوضاع وتمددت في أبين وشبوه.

ج - تفيد تقارير الخزانة الأمريكية الصادرة في يناير ٢٠٢٦ أن دخل الحوثيين من تهريب النفط بلغ ملياري دولار، مستخدمين نفس الأسواق السوداء التي تستفيد منها القاعده في تجارة السلاح.

د - وفقا لدراسته المعنونه (العلاقات الاستراتيجيه بين حركة الشباب وجماعة الحوثي وتداعياتها على الأمن الإقليمي والدولي) المنشوره في فبراير ٢٠٢٦ ،أوضح معهد "سالديج" انه خلال العقد الأخير دخلت حركة الشباب مرحلة تحول بنيوي تجاوزت فيه القيود الأيديولوجيه التقليدية للسلفيه الجهاديه، وبدأت تعتمد مقاربة أكثر براجماتيه في بناء تحالفاتها الخارجية، ويعد الارتباط المتصاعد مع الحوثيين في اليمن التغيير الأوضح لهذا التحول الذي يؤكد تحول الحركه للتعاون مع فاعلين خارج السلفيه الجهاديه إذا وفرت هذه العلاقات مكاسب ملموسة استراتيجيا وعملياتيا.
وأوضحت الدراسة ان عناصر من حركة الشباب تلقوا تدريبات في مجالات المتفجرات والمسيرات منخفضة التكاليف، فيما حصل الحوثيون على معلومات تتصل بخليج عدن ومسارات الملاحه الحيويه بين البحر الأحمر والمحيط الهندي.
ه - قال الرئيس الصومالي حسن شيخ محمود في مقال له بصحيفة الشرق الأوسط بعنوان "حماية البحر الأحمر وخليج عدن مسؤوليتنا المشتركة المشتركة" المنشور في ٢٩ أبريل ٢٠٢٥ " ان تلك المنطقه تنشط فيها جماعاتٌ إرهابية عديدة، أبرزها «القاعدة»، و«الشباب»، و«داعش»، و«الحوثي»، التي - رغم خلافاتها الظاهرة - تتحالف سراً وتتبادل الأدوارَ ضد دول المنطقة، بما فيها الصومالُ والمملكة العربية السعودية ودول الخليج عامة.

وأضاف إن أجهزة الاستخبارات الصومالية "رصدت اتصالات بين الحوثيين في اليمن وتنظيمي داعش (تنظيم الدولة الإسلامية) وحركة الشباب في الصومال. وقد تطورت هذه العلاقات، وأصبحوا يتبادلون الأسلحة والخبرات".
وتابع "ثمة مؤشرات على علاقات وتنسيق عالي المستوى بين أطراف على ضفّتي باب المندب، تتجاوز ما يظهر على السطح من عمليات سطو مسلح".
و - وثق تقرير لفريق خبراء الأمم المتحدة صادر في فبراير/شباط ٢٠٢٥ أن "لحركة الشباب علاقة متطورة مع الحوثيين وُصفت بأنها علاقة قائمة على المعاملات أو المنفعة وليست علاقة مذهبية"، وأن الحركة "عقدت اجتماعين على الأقل في الصومال مع ممثلي

الحوثيين في يوليو/تموز وسبتمبر/أيلول"، طلبت خلالهما أسلحة متطورة وتدريبا. وفي المقابل، "كُلّفت حركة الشباب بزيادة أنشطة القرصنة داخل خليج عدن وقبالة سواحل الصومال، واستهداف سفن الشحن وتعطيل حركة السفن، وكذلك تحصيل الفدية من السفن التي يُستولى عليها".

ي - وثق تقرير خبراء الأمم المتحدة عن استمرار تدفق الأسلحة من اليمن إلى المناطق التي تسيطر عليها حركة الشباب في الصومال.

وأضاف التقرير الصادر في فبراير/شباط ٢٠٢٥ أنه في الفترة من يونيو/ حزيران سبتمبر أنه في الفترة من يونيو/حزيران الى سبتمبر / ايلول

تلقت حركة الشباب أسلحة وذخائر ومتفجرات متنوعة عبر مينائي مركا وبراوة في ولاية شبيلي السفلى، وظلت بعض الأسلحة داخل الإقليم بينما أُرسلت الأسلحة الأخرى إلى منطقة خليج عدن.

وقدر التقرير أن تلك الأسلحة قد استُخدمت في هجمات شُنت على معسكرات بعثة الاتحاد الأفريقي الانتقالية في الصومال في شبيلي السفلى في سبتمبر/أيلول ونوفمبر/تشرين الثاني .

الخلاصة

رغم التناقض الايديولوجي والشقاق المذهبي، الا ان هناك جملة مؤشرات على تعاون تكيكي يتنوع ويتصاعد وفقا للوقائع على الأرض وتطورات الأوضاع على الساحة الإقليمية والدولية ، حيث تتغلب لغة المصالح على ثوابت العقيدة، ويكون الاستقرار هو الضحية الاكيده لهذا التعاون، بينما يتصدر المشهد هدف وحيد هو تغييب الاستقرار وتقويض الدولة ، فتنظيم الاخوان المصنف على قوائم الإرهاب الدولية لم يقتصر تغلغله على المجلس الرئاسي الحالي فقط ،بل تمكنت عناصره التي يمثلها التجمع الوطني للإصلاح خلال عهد الرئيس الراحل عبد ربه منصور هادي من التغلغل في بنية الدولة والسيطرة على مواقع مفصلية أبرزها منصب نائب الرئيس" علي محسن الأحمر"، بالإضافة إلى زرع كوادرها داخل مؤسسات الدولة الشرعية، مع إقصاء الأصوات المخالفه واحتكار قنوات التواصل مع الخارج، فيما يسهم تعاونعم مع الحوثيين في تغذية الصراعات بين القوى السياسية وتكريس حضورهم القوي في المشهد السياسي والعسكري وايضا الاقتصادي باليمن .

وجاءت أحداث السابع من أكتوبر وما تلاها لتمثل هدية على طبق من ذهب للحوثيين والإخوان لتكليل التعاون المستمر والإعلان عن الولاء لإيران، ولكن هذه المرة تحت عنوان شريف وهو " العداء لامريكا واسرائيل " باعتبار إيران وذراعها اليمني" الحوثيين " هم كاسرين شوية امريكا، الأمر الذي نعتبره كاشفا وبوضوح عن تقاطع المصالح بين الإخوان والمشروع الحوثي ، متجاوزين بذلك التناقضات المذهبية والسياسية .

بينما تمضي العلاقة بين الحوثيين وحركة الشباب الصومالية في اتجاه التعاون البراجماتي

القائم على المصالح، لا على الانسجام الايديولوجي، حيث يتجاوز الطرفان عائق المذهب" سنه وشيعه " إلى أفق جديد أوسع يعتبر وحدة الدين " الاسلام " آداة سياسية قابله للتكيف وتجاوز حائط المذهبية ،وتكريس مبدأ التعاون على اساس المنافع العسكرية والامنية والاقتصادية أيضا، فحركة الشباب تهدف إلى تعويض تراجع الدعم العسكري والمادي الذي كان يضخه تنظيم القاعدة، مع الحفاظ على قدر من الاستقلالية عن المشروع الإيراني، بحيث لا تصبح الحركة المنتمية للسلفية الجهادية مجرد آداة في هذا المشروع الإقليمي، فيما يهدف الحوثي إلى الفكاك من صورة التنظيم الطائفي المرتبط بالراعي الرسمي للشيعة في العالم" ايران " ، بالإضافة إلى استخدام شبكات الحركة المالية وشبكات تهريب السلاح ،وغير ذلك من قدرات الحركة التي تمكنت من بنائها على ضفتي باب المندب ،الأمر الذي جعل التعاون بين الطرفين يشمل كافة المجالات ،بما في ذلك تبادل المقاتلين والتدريب المشترك وتبادل الخبرات والمعدات ،حيث استفادت عناصر الحوثي من عمليات التدريب على أساليب الحرب غير المتكافئة وتكتيكات التسلل التي تستخدمها حركة الشباب التي تربت في بيت تنظيم القاعدة